# علماء القدس الشريف

## في القرن الثاني عشر

الاستاذ عبد اللطيف الطيباوي

وضع مجير الدين العُلَيْمي ، قاضي القدس في أواخر القرن التاسع للهجرة ، قاعدة في كتابه عن تاريخها ، عندما أَدْخل فيه سِيَر بعض العلماء فقال : وأقتصر في ترجمة الرجل على ما عُرف من محاسنه واحواله المحمودة من غير تعرّض الى شيء فيه انتقاصه او مذمته »[1] وقد اتبع هذه القاعدة بالفعل دون القول الحاج حسن بن السيد عبد اللطيف ، مفتي الحنفية بالقدس في القرن الثاني عشر ، عندما ترجم في كتابه الذي هو موضوع هذا البحث لعلماء القدس في عهده .

كان الحاج حسن أحد افراد اسرة عريقة اشتهرت بالعلم والتقوى وخدمة الحرم القدسي : جاء في حوادث سنة ١١٨٨ للهجرة في تاريخ الجبرتي قوله : « مات المعمّر الشريف عبد اللطيف افندي نقيب الاشراف بالقدس وابن نقبائها عن تسعين سنة وتولّى بعده اكبر اولاده السيد عبد الله افندي »[2] . وهذا الذي أَجْمله المؤرخ المصري فيما لايزيد عن سطرين مطبوعين فصّله محمد خليل المرادي الشامي ، مفتي دمشق ونقيب اشرافها في ترجمة « السيد عبد اللطيف بن عبد الله بن عبد

---

(١) كتاب الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل ( القاهرة ١٢٨٣ ) ج ٢ ، ص ٤٤٦ – ٤٤٧

(٢) عجائب الآثار في التراجم والاخبار ( بولاق ، ١٢٩٧ ) ج ١ ، ص ٤١٢

اللطيف بن عبد القادر الحنفي القدسي » ، فقال انه كان شيخ الحرم الشريف بالقدس ونقيب اشرافها ، وانه اشتهر بالكرم والعناية بالحجاج . وانه « ارتحل للديار الرومية »[1] والمقصود بالديار الرومية في اصطلاح ذلك الزمان بلاد الأناضول ( آسيا الصغرى ) حتى عاصمة السلطنة العثمانية في الآستانة ( استانبول ) ، وقد اعتاد علماء البلاد العربية الرحلة اليها إما للشكوى او طلب الوظائف . ولا يذكر المرادي سبب رحلة السيد عبد اللطيف ، ولكنه يذكر ما نشأ بينه وبين الوالي العثماني من فساد أدّى في النهاية الى تنازل السيد عن النقابة الى اكبر اولاده السيد عبد الله والاكتفاء بمشيخة الحرم حتى وفاته ، فالغالب انه ذهب الى « الديار الرومية » لتسوية الأمر .

يرى المدقق في نص الجبرتي ونص المرادي انهما لا يذكران اسم أسْرة « الحسيني » ، لا اضافة الى اسم الأب ولا اضافة الى اسم ابنه . وقد يستغرب هذا من المرادي خاصةً لأنه كان صديقاً مقرباً الى الأسرة . الغالب ان سبب ذلك كان إما محاكاة للعُرف التركي في حَذْف اسم الاسرة ، او اتّباعاً لبعض كتاب العرب في نسبة الشخص الى بلده أو مذهبه قبل نسبته الى اسرته او بدلاً منها . وقد اتبع هذا النهج الحاج حسن ، الابن الثاني للسيد عبد اللطيف ، فهو لا يذكر اسم اسرة الحسيني مُضافاً الى ترجمة ابيه أو الى ترجمة اي من اخوته الثلاثة : عبد الله ومصطفى وعبد الصمد أو الى ترجمته هو .

كان الحاج حسن أحد ثلاثة من علماء القرن الثاني عشر رغّبهم المرادي في كتابة تراجم مَنْ يعرفون من معاصريهم ، والاثنان الآخران

(١) سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر ( بولاق ، ١٣٠١ ) ج ٣ ، ص ١٣٢ – ١٣٤

كانا السيد محمد مرتضى الزبيدي والشيخ عبد الرحمن الجبرتي[١] . والذي كتبه الحاج حسن هو رسالة قصيرة توجد منها نسخة مخطوطة في مكتبة المتحف البريطاني تحت رقم OR ٣٠٤٧ سجلت قبل اكثر من ثمانين سنة[٢] . ولم يلتفت اليها أحد من الباحثين حتى الآن . ووجدت نسخة اخرى مخطوطة في المكتبة الخالدية بالقدس حتى سنة ١٩٤٦ على الأقل[٣] ، ثم فقدت . ولكن توجد منها نسخة في المتحف الفلسطيني ( روكفلر ) بالقدس .

أما نسخة المتحف البريطاني فمكونة من احدى واربعين ورقة ( اي اثنتين وثمانين صفحة الأولى للعنوان فقط والاخيرة للختام والتاريخ ) وطول الورقة ثلاثة وثلاثون سم وعرضها واحد وعشرون سم . والخط نسخي واضح ، لكن يشوب اللغة كثير من الاغلاط في الاملاء والنحو . وهذا نص العنوان : « تراجم جماعة من أفاضل بيت المقدس الشريف جمع الفاضل البارع الأديب الأوحد غرّس الدين خليل أمين الفتوى والامام بالقدس رحمه الله تعالى م » . وتحت هذا العنوان عنوان آخر بخط غير خط العنوان الأول، وهو «تراجم رجال القرن الثاني

(١) نبه الى ذلك الاستاذ الدكتور اسحق موسى الحسيني في مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ( الدورة الرابعة والاربعين ١٣٩٨ / ١٩٧٨ ) ، ص ٤٣ – ٤٧

(٢) جمع المستشرق النمساوي الفرد فون كريمر كثيرا من المخطوطات العربية في دمشق والقاهرة بين سنة ١٨٤٩ وسنة ١٨٨٠ ، واستفاد منها في كتابة كتابين مشهورين نشرهما عن الثقافة الاسلامية. ثم اشترى المتحف البريطاني مجموعة كريمر وفيها مخطوط تراجم علماء القدس الشريف في القرن الثاني عشر ( راجع الصفحة الخامسة من المقدمة والصفحة ٤٤٧ في ملحق فهرس المخطوطات العربية في المتحف البريطاني سنة ١٨٩٤ ) :

(٣) استفاد منها في تلك السنة الاستاذ احمد سامح الخالدي في رسالته « اهل العلم بين مصر وفلسطين » التي نشرها بالقدس في اربعين صفحة ( راجع ص ٥ )

عشر من أهالي مصر والقدس الشريف » • ولا شك ان هذا العنوان الثاني دخيل أقحمه جاهل لم يقف على ما احتواه الكتاب من التراجم •

يظهر من العنوان الأول ان غرس الدين خليل كان إماماً في الحرم الشريف وكاتباً في دار الفتوى • وعبارة « رحمه الله » قد تقال للحي والميت ، فإذا كان غرس الدين ميتاً عندما كتب العنوان كان الذي نَسَبَ اليه جمع التراجم ناسخاً • لكن ما جاء في ختام الكتاب يُرجّح ان غرس الدين كان حيّاً وانه هو الذي نسب الفضل الى نفسه في البدء ثم برّأ نفسه في الختام عندما كتب « تمّ بحمد الله تحريرها بقلم الفقير الى مولاه الغني القدير خليل الحافظ لكلام محيي العظام وهي رميم المسوّد للفتاوى والامام برحاب نقيب القدس واخيه المفتي الكريم • ويرجو ممن وقف عليها ان يصلح ما أفسد القلم من منثور ومنتظم ، وذلك في شهر ربيع الثاني من شهور عام الف ومئة وخمسة وتسعين من هجرة سيد المرسلين ﷺ » •

يُستنتج من هذا ان غرس الدين كان محرراً ( اي كاتباً او ناسخاً ) لا جامعاً ولا مؤلفاً ، وانه كان إماماً وحافظاً للقرآن الكريم « برحاب » شيخ الحرم الشريف ونقيب اشراف القدس ( السيد الحاج عبد الله ) ، ومسوّداً للفتاوى برحاب اخيه مفتي الحنفية ( السيد الحاج حسن ) • فكيف ثبت ان الحاج حسن هو مؤلف التراجم وجامعها ؟ قد بيّن ذلك هو في الرسالة نفسها • فبعد ترجمة جده السيد عبد اللطيف بن عبد القادر وترجمة والده « السيد عبد اللطيف المشهور » وذكر اخيه الأكبر السيد عبد الله ، قال : « وأخوه الثاني العبد الفقير الضعيف ، الذليل النحيف ، الخائف الرجيف ، من هول يوم المخيف ، قليل العمل ، كثير الزلل ، جامع هذه التراجم ، خادم نعال الفقراء والأكارم ، الحاج

حسن ، خادم إفتاء الحنفية بالقدس المشرفة المحمية ... » ( الورقة ٣٢ أ ) . وقال الحاج حسن في ترجمة استاذه محمد بن بُدَيْر « لهذا العبد الضعيف الحاج حسن بن عبد اللطيف ، الجامع لهذه الرسالة ، الصادق ان شاء الله في مقاله ، مع حضرة الشيخ وقائع وأحوال ، وظهور وكرامات ومقال .. » ( الورقة ٣٤ ب ) . وذكر في ختام الكتاب علاقته بالمرادي فقال : « هذا آخر ماانتهى ( كذا ) مما اطلعت عليه ووقفت عليه من تراجم أهالي القدس الشريف ، والمعبد الطاهر المنيف ، في القرن الثاني عشر من هجرة سيد البشر . وكان سبباً لتحريره وجمعه وتسطيره المولى [ ويلي ذلك صفات وألقاب في ثمانية اسطر ] السيد خليل افندي المرادي ، عمدتي واعتمادي ، شيخ الاسلام وابن شيخ الاسلام ، مفتي الشام ، سلّمه الله السلام ، فامتثالاً لأمره المطاع حررت هذه الرسالة ، والفقير قليل البضاعة ، قصير اليراعة في هذه الصناعة ... وارجو ممن وقف عليها ان يُصلح ما لا يصلح منها ويستر عيوبها ... » ( الورقة ٤١ ب ) .

ويلي ذلك قصيدة في ستة عشر بيتاً في مدح المرادي جاءت الأبيات التالية في ختامها :

فله الله شاكر"(!) ومجيب لدعانا كما يُجيب الخليلا
لا تلمْني فلست أُحْسن مدحا فلك العذر حيث كنت خليلا
حسَن" قد اتاك بالنظم يرجو حسن عفْو يظن ظناً جميلا

هذا مثل من شعر المؤلف وفيما سبق وردَت أمثلة من نثره . وعصره لم يشتهر بجودة الصناعة لا في النثر ولا في الشعر . وقلّما

اشتهر امثاله من الفقهاء في هذه الصناعة حتى في أزهى عصور اللغة العربية[1] . والكتابُ قليل المادة إذا جُرِّد من حشو السجع وزخارف الكلام . وفيه شعر كثير من مدح او رثاء يملأ نصفه . وقلة المادة واضحة حتى في ترجمة والد المؤلف ، فليس فيها ما يزيد عمّا جاء في المرادي والجبرتي وذكر اعلاه . لكن الشعر الذي قيل في مدح والد المؤلف وجدّه وفي رثائهما فيه إشارات الى اسم الأسرة ونسبها : فَهُمْ آل البيت تارة ومن نسل فاطمة الزهراء تارة اخرى ، وواحدهم ابن النبي او الهاشمي او الحسيني .

ولد حسن بن عبد اللطيف ، مؤلف الكتاب ، في سنة ١١٥٦ للهجرة ، وتعلم في القدس على شيوخ ذكرهم وترجم لهم في كتابه ، ومنهم الشيخ أحمد المُوَقّت والشيخ محمد التّافِلاتي والشيخ محمد بُدَيْر ، فقرأ عليهم التفسير والحديث والفقه والتصوف والنحو والمنطق ، وعندما زار السيد محمد مرتضى الزبيدي القدس أخذ عنه مترجمنا في الفقه والحديث والنحو .

وفي الكتاب ثلاثون ترجمة أساسية ، اي التي تبدأ بكلمة ( ترجمة ) مكتوبة بحبر أحمر . لكن المؤلف ادخل في بعض التراجم شيئاً عن الأبناء والأحفاد اذا كانوا من اهل العلم . وكل التراجم تؤرّخ لعلماء وُلدوا أو أقاموا في القدس اثناء القرن الثاني عشر حتى سنة ١١٩٤ وهي السنة السابقة لإكمال الكتاب . وليس في الكتاب مقدمة،

(١) للاستاذ الجليل عبد الله كنون رأي مخالف نشره في سلسلة من المقالات بعنوان شعر الفقهاء في مجلتنا منذ سنوات . «لجنة المجلة»

بل تبدأ الترجمة الأولى فيه بعد قوله « بسم الله ، والحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله » .

وبعض التراجم تراجم طويلة وبعضها قصيرة جداً ، فاولها ملأت ثلاث ورقات ( اي ست صفحات ) ، بينما حشر المؤلف على وجه واحد من الورقة الأخيرة تراجم ستة من العلماء تكاد تقتصر كل ترجمة على بعض الصفات مع تاريخ الوفاة . واطول التراجم هي لأحب اساتذة المؤلف اليه وهو الشيخ محمد بُدَيْر . والتراجم كلها للعلماء ، ولا ذكر في الكتاب لغيرهم ، رغم نصّ العنوان « تراجم جماعة من أفاضل بيت المقدس » ، ورغم وصف المؤلف لكتابه بانه « تراجم أهالي القدس الشريف » . اذ لم يترجم المؤلف لأحد من رجال الحكم والادارة او من ذوي اليسار من تجار المدينة او اصحاب العقار فيها ، فاقتصاره على العلماء جاء غالباً عن قصد . وفيما يلي اكثرهم صلة بتاريخ القدس العلمي بحسب ترتيب تراجمهم في الكتاب :

( ١ ) الشيخ محمد بن شرف الدين الخليلي : وُلد في الخليل ، وكان في صغره يبيع السِّيرج ( زيت السِّمْسِم ) فيها ، ثم انتسب الى الأزهر ودرس على شيوخه التفسير والحديث والفقه وغيرها . ثم اخذ عن عبد الغني النَّابُلسي فأجازه ، وأخذ الطريقة القادرية عن شيخها . وفي سنة ١١٠٤ عاد الى القدس وسكن في المدرسة البلدية في جوار المسجد الأقصى[1] ، وأخذ يعظ ويدرّس في المسجد وفي المدرسة . وبعد ذلك بعشر سنين ذهب الى الحج فنُهبت قافلة الحجاج

(١) جاء ذكرها في الانس الجليل ج٢ ، ص ٣٨٧

التي كان معها . ويظهر من خسارته انه كان يتاجر بالبن بين مصر وفلسطين . يقول المؤلف كانت للشيخ كرامات ومكاشفات ورؤيا الخضر . كتب فتاوى على مذهب الشافعي ، وجمع خزانة كتب وجعلها وقفاً[١] . في ترجمته قصيدتان من نظمه ، وقصيدتان قيلتا في رثائه . توفي سنة ١١٤٧ ودفن بالمدرسة البلدية . ( الورقة ١ ب الى الورقة ٤ أ ) .

( ٢ ) علماء آل جار الله : ذكر المؤلف منهم ثلاثة أولهم السيد جار الله بن السيد محمد ، خطيب المسجد الأقصى الذي « رحل الى الديار الرومية لأخذ فتوى ( اي وظيفة مفتي ) الحنفية » فمات في استانبول سنة ١١٤٤ . وثانيهم السيد علي جار الله الذي انتسب الى الأزهر وبعد إكمال تعلمه عاد الى القدس وصار مدرساً بالمدرسة الصلاحية[٢] . ثم « رحل الى اسلامبول ( أي استانبول ) المحمية » في سنة ١١٦٨ فمات فيها في السنة التالية . فلما علم بذلك ابنه محمد ، وكان حينئذٍ طالباً في الأزهر ، سافر الى العاصمة فقابل السلطان مصطفى ( الثالث ) بحضور الصدر الأعظم ( اي رئيس الوزراء ) ، فأخذ هذا محمداً معه « في سفر المشقو » ، اي الى

---

(١) نشر نص الوقفية الاستاذ الدكتور اسحق موسى الحسيني بعنوان « وثيقة مقدسية تاريخية » ( القدس ١٣٩٩ / ١٩٧٩ ) .

(٢) انشاها صلاح الدين الأيوبي . راجع الانس الجليل ج ٢ ، ص ٣٩٣ ، وتاريخ ابي الفداء ( استانبول ، ١٢٨٦ ) ج ٢ ، ص ٨٧ . كان شيخ الصلاحية احد الثلاثة المقدمين في ادارة مدينة القدس في عهد سلاطين المماليك ، اما الآخران فكانا ناظر السلطنة وناظر الحرمين ( القدس والخليل ) وكان شيخ الصلاحية يعين بمرسوم سلطاني .

ساحة الحرب مع المسْقُوب ( الروس )[١] ؛ ولما عاد محمد الى القدس صار مدرساً بالمدرسة الصلاحية كما كان أبوه • اما قول المؤلف ان محمداً « تولى إفتاء بيت المقدس[٢] مدة ايام ، وكذلك منصب النقابة ووكل بالمنصبين أخيه ( كذا ) تلك المدة » فغامض" ويحتاج الى تفسير ، والغموض في الغالب راجع الى كرم أخلاق المؤلف والتزامه قاعدة العُلَيْمي بذكر المحاسن دون المساوىء • اذ يرجّح ان آل جار الله حاولوا أخذ إفتاء الحنفية ( لا افتاء بيت المقدس ) ونقابة الاشراف من آل الحسيني • وذهاب ثلاثة من آل جار الله الى استانبول كان غالباً لهذه الغاية ، فالوظائف الدينية والادارية كانت حينئذٍ تباع وتشترى في العاصمة • ونجاح السيد محمد جار الله في سنة ١١٨١ « مدةأيام » انتهى بالفشل ؛ فلم يتولّ بعد عودته الى القدس غير التدريس في الصلاحية • ولا يذكر المؤلف سنة وفاته ( الورقة ١١ ب الى ١٣ أ ) •

( ٣ ) الشيخ احمد بن محمد الموقت : تنتمي اسرته الى أبي العزم من أولياء المغاربة ، وقد هاجر بعض افراد الاسرة الى مصر ثم اقام بعضهم في غزّة قبل الاستقرار في حارة ( حيّ ) المغاربة بجوار حائط الحرم الشريف بالقدس • وكان الأب محمد إمام المالكية في الحرم ، ماهراً في علم الفلك ، وقد اختص الأب والابن وغيرهما من الآباء والاجداد بعلم الميقات اي تعيين اوقات الصلاة في المسجد الاقصى •

---

(١) وهي الحرب التي انتهت بانكسار الدولة العثمانية واضطرارها لتوقيع معاهدة كينارجه المذلة سنة ١٧٧٤ •

(٢) هذا قول غير دقيق ، فلم يكن افتاء المدينة موكولاً الى شخص واحد ، بل تولاه مفتون من كل مذهب من المذاهب الاربعة • والمؤلف نفسه كان مفتي الحنفية •

تعلّم احمد في القدس ولم يغادرها لطلب العلم[١] . وكان محمد بن شرف الدين الخليلي المذكور أعلاه من مشايخه . واشتهر أحمد مثل شيخه بأنه جمع خزانة كتب وجعلها وقفاً . وكان إماماً في مسجد قبة الصخرة ومدرّساً في المسجد الأقصى . وتولّى ايضا تدريس المدرسة الأفضلية[٢] . واشتغل بالتجارة فأثرى ، وكان يكرم أهل العلم من زوّار القدس . توفي سنة ١١٧١ ودفن بمقبرة مأمن الله المعروفة بمامِلا . ( الورقة ١٦ ب الى الورقة ١٧ ب ) .

( ٤ ) الشيخ محمد بن الطيب التافِلاتي : أصله من المغرب ، رحل الى القدس وجاور بقرب الحرم الشريف في حارة (حي) المغاربة سنة ١١٧٢ . واشتغل بالوعظ والفتوى والتدريس . وقد تحنّف بعد أن كان مالكياً . ومن آثاره تخميس قصيدة كعب بن زهير « بانت سُعاد » . يروى ان الوزير العثماني عبد الله چتهجي زار القدس فدخل مسجد الصخرة والشيخ محمد يُدرّس فيه ، فلم يَقُم للوزير ولم يلتفت له عندما وقف بجانب حَلْقته . فطرح الوزير على كتف الشيخ رداءً من الفرو وألقى امامه صُرّة من الدراهم ، فلم يُغير الشيخ من حاله شيئاً ، فسلّم الوزير عليه وسار لشأنه . والرواية تدل على ان الشيخ ، خلافاً لما رُوي عن بعض السلف من امثاله ، قَبِل الهدايا

---

(١) قال المرادي في سلك الدرر ج١ ، ص ١٧٥ : « لم يذق كربة الغربة اوان تحصيله المعلوم » .

(٢) انشأها الملك الافضل بن صلاح الدين الايوبي على ارض اوقفها بجوار المسجد الاقصى والى الغرب من حائط الحرم الشريف لمنفعة المغاربة المجاورين في الحي الذي عرف باسمهم . ورد ذكرها في الانس الجليل ج ٢ ، ص ٣٩٧ . نشرنا نص الوقفية بالأصل العربي ملحقاً في رسالتنا باللغة الانكليزية

ملاحظة : المرجو تصحيح خطأ مطبعي في السطر الرابع ، فالتاريخ الصحيح هو « شعبان سنة الف واربع » .

ولم يردها[١] . توفي الشيخ في سنة ١١٩٢ ودفن في مقبرة مامن الله . ( الورقة ٢٢ ب الى الورقة ٢٤ ب ) .

( ٥ ) الشيخ محمد بن ابراهيم بن يحيى : ورد اسمه في تراجم مختصرة لثلاثة من أئمة المسجد الاقصى : كل ترجمة في بضعة اسطر . « ومما وقع من عجيب أمره ان طائفة الافرنج القاطنين بالقدس الشريف جاءت بخط شريف وأوامر علية وقبجي باشي من الدولة العلية بقطع عوايد عنهم . فاجتمع العلماء والاشراف والاعيان في المسجد الشريف في جامع الحنابلة لقراءة الخط والأوامر لأنه كانت في السابق تقرأ الأوامر هناك وحضر القاضي والقبجي وسائر اصحاب الكلام وقرئت الأوامر . فصاح الشيخ محمد المذكور بأعلى صوته وقال : الله أكبر طائفة الافرنج تأتي بقبيح بين اظهرنا : ووقع مغشياً عليه فحملوه الى المدرسة الطشتمرية[٢] ميتاً رحمه الله رب البرية سنة ١١٦٢[٣] . فلزمت الافرنج حدهم وارتدعوا بذلك ورجعوا عما أرادوه » . ( هامش الورقة ٢٨ ب ) .

---

(١) رد الشيخ نصر بن ابراهيم المقدسي النابلسي ( معاصر الغزالي ) هدية « من مال الجزية » قدمها له في الجامع الاموي بدمشق تاج الدولة تتش بن آلب ارسلان . راجع طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (القاهرة ١٣٢٤ ) ج ٤ ، ص ٢٨

(٢) ذكرت في الانس الجليل ج ٢ ص ٣٩٥ ، مع اختلاف طفيف في التهجئة « تخفيف الطاء » : التشتمرية .

(٣) تقابل السنة الهجرية ١١٦٢ ( وهي مكتوبة هكذا بالارقام لا بالحروف في النص ) السنة الميلادية ١٧٤٨ ، اي في عهد السلطان محمود الاول ( ١٧٣٠ ـ ١٧٥٤ ) . وقد توسطت فرنسا لمصلحته في إنهاء حرب اثارتها النمسا على الدولة العثمانية ، فعقدت بين الطرفين معاهدة بلغراد سنة ١٧٣٩ . والظاهر ان السلطان كافأ فرنسا بتوسيع نطاق الامتيازات التي كانت نالتها من السلطان سليمان القانوني . فقطع العوايد » غالبا معناه انهاء بعض الضرائب التي كانت تجبى من الافرنج . والقبجي تحريف عن التركية قيوجي ، ومعناها حرفيا البواب وتاريخيا

( ٦ ) الشيخ محمد بن بدير المشهور بابن حبيش المقدسي: ورد الاسم هكذا في الكتاب بعد اكثر من عشرة اسطر من الصفات والألقاب . ويستنتج من ابيات من الشعر كتبها له التافلاتي المذكور اعلاه ان اهل آسرة بدير من المغرب ( الورقة ٢٣ ب ) ، ويؤخذ من الترجمة ان محمداً انتسب الى الازهر منذ صغره ، فأخذ عن عشرة من شيوخه المشهورين علوم التفسير والحديث والفقه ( على المذاهب الأربعة ) والفلك والحساب والميقات والنحو والمعاني والبيان والعروض والمنطق ، ولازم ست سنوات كلاً من الشيخ عيسى البرادي والشيخ محمود الكردي والشيخ احمد الراشدي . وروى مؤلف التراجم عن ابن بدير انه أخذ على الراشدي « جملة من العلوم الرياضية » ، ثم اضاف هذه الجملة التي تستحق الاقتباس والإشهار : « وعليه خرجت من مضيق التقليد الى سعة المعرفة بالله . » واخذ الطريقة الشاذلية عن الشيخ احمد الجوهري ، والطريقة الخلوتية عن الشيخ احمد الحفناوي وعن الشيخ محمود الكردي . وفي سنة ١١٩٣ ذهب مع تلميذه مؤلف كتاب التراجم الى الحج ، فسطا اللصوص على قافلة الحجاج بقرب العقبة فجرح الشيخ محمد في ذراعه ، لكنه استأنف السفر الى مكة وأكمل فروض الحج ثم عاد الى القدس عن طريق مصر . وفي ترجمته خمس من قصائده ( الورقة ٣٥ ب الى الورقة ٤٠ ب ) ، وأطولها في اسماء الله الحسنى واسماء الانبياء الواردة في القرآن واسماء الملائكة المقربين واهل بدر وبعض الصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين (الورقة ٣٧ أ الى آخر الورقة ٤٠ ب ) ، وقد كتب بين سطور هذه

---

في القرن الثاني عشر ( الثامن عشر ) موظف في بلاط السلطان وكل اليه حمل المراسيم والاوامر الى حكام الولايات . ومعنى باشي: الاول ، أي ان الموظف المذكور كان من درجة عليا . ولا سند تاريخيا يؤيد ان الافرنج رجعوا عما نالوه وارادوه .

القصيدة الطويلة بعض الشرح بحبر أحمر وخط غير خط ناسخ الرسالة.

هذه ، مع ترجمة المؤلف لنفسه ولأبيه ، أغنى التراجم مادةً . لكنه يوجد فيما هو أخصر منها حقائق مبعثرة تستحق الملاحظة والتسجيل . وفي الكتاب بعض الاصطلاحات والكلمات التركية ،اهمها غير لقب الأفندي كلسة أوضة ( بمعنى غرفة ) وكلسة باشكاتب ( بمعنى رئيس الكتّاب او الكاتب الأول ) . وفي الكتاب ايضاً كلمات عربية لم أرها في غيره من كتب العصر ، لعل أطرفها كلمة كُتُبِيّة ( بمعنى مكتبة )[1] .

وقال المؤلف في ترجمة جده السيد عبد اللطيف بن عبد القادر « له سفر للجهاد » ، ومعنى ذلك استنتاجاً وقياساً على حوادث العصر، ان السيد كان في بطانة أحد القواد العثمانيين عند الاستعداد للحرب اما مع روسيا او النمسا ، فقد كان هؤلاء القواد يستضيفون العلماء والأشراف تشجيعاً للجنود . وقال المؤلف في ترجمة غير واحد من العلماء « رحل الى الديار الرومية » او «رحل الى اسلامبول المحمية»، والظاهر ، ان معظم هؤلاء كانوا من الطاعنين في السن ، لأن الذين ماتوا هناك اكثر من الذين عادوا الى القدس .

واهتم عدد من العلماء المترجم لهم في الكتاب بدراسة علم الفلك وعلم الميقات . وجاء في ترجمة ابن بُدَيْر انه درس «العلوم الرياضية»،

---

(١) الكلمة « اوضة » بهذا المعنى لاتزال مستعملة في عامية دمشق . وكذلك « باشكاتب » . واما كلمة « كتبية » فهي كذلك معروفة ومستعملة في بيوت دمشق لما يشبه الخزانة الصغيرة المكشوفة في الحائط ، توضع على ارففها الكتب او بعض وسائل الاضاءة وينطقها الدمشقيون بسكون التاء ، ويميل الى كسر الكاف . وبامالة نطق اليساء على عادتهم . « لجنة المجلة »

فنطاق علمهم كان واسعاً ، ربما دَلَّ عليه قول المرادي في ترجمة أحمد الموقّت : « أَلْقت اليه مقاليدها العلوم النقلية ، وانتهت اليه حقائق العلوم العقلية » .

وآثر عدد منهم حياة الزهد ، ومال آخرون الى دراسة التصوف وممارسته ، وكثر بينهم المنتسبون الى الطرق الصوفية المشهورة . ذكر المؤلف ان تاج الدين ابا ( او ابن ابي ) السُّعود كان من اتباع طريقة عبد القادر الجيلي وان دار اسرته الملاصقة لحائط المسجد الأقصى من جهة الغرب كان فيها زاوية لأهل تلك الطريقة . ومع هذا كان بين علماء القدس مَنْ أثْرى من التجارة او زراعة البساتين او صناعة الصابون ، كما كان بينهم المُعْمِرون . فالشيخ محمد بن ابراهيم حافظ الدين ، احد العلماء بعلم الفلك ومن قراء القرآن بالمسجد الاقصى ، « كان يكتب الحديث لكسب المعاش » . والشيخ احمد صالح بن محيي الدين الخليلي ، من علماء الأزهر ومن المدرسين بالمسجد الأقصى ، « كان يأكل من عمل يده » وهو نَسْخُ كُتُب الحديث بعد انتهاء الدرس في المسجد . وكذلك كان احد اولاده « يكتب بالاجرة لضيق معاشه » . فلماذا لم تخصص لهؤلاء «المعاليمُ» من رَيْع الأوقاف الخيرية ؟

ذكر المؤلف ان الشيخ احمد صالح المذكور أعلاه توفي سنة ١١٤٥ ودُفن في مقبرة باب الرحمة بجوار قبر الصحابي شَدّاد بن أوْس ، مع ان اكثر العلماء الوارد ذكرهم في الكتاب دُفنوا بعد موتهم في مقبرة مأمن الله ( مَامِلاَّ ) . ومقبرة باب الرحمة تقع خارج سور الحرم الشريف من جهة الشرق ، وقد شُرعت عند الفتح الاسلامي ، ودنّسها الصليبيون ، ثم طُهّرت بأمر صلاح الدين وجُعِلت مثوى أبطال حروبه . وفي العصور التالية صارت مقبرة للعلماء والصوفيين

كما يتضح من تراجمهم في كتب العُلَيْمي والمحبّي والمرادي والحسَيني ( وقد دنسّها الصهيونيون وازالوا معالمها وجعلوا ارضها مكاناً للنزهة والمراحيض ! ) .

وتدل تراجم الكتاب إجْمالاً على صلة علمية متينة بين القاهرة والقدس ، فكثير من علمائها تعلّموا في الأزهر ، او في المسجدالاقصى ممن تعلموا في الازهر . وتدل التراجم ايضاً ان بعض علماء القدس أخذوا عن عالِمَيْ القرن الثاني عشر المشهوريْن وهما الشيخ عبد الغني النّابُلُسي والسيد محمد مرتضى الزّبيدي . ولا عجب فقد اخذ عنهما كثيرون من المعاصرين في مكة والقدس ودمشق والقاهرة وغيرها . فالنابلسي والزبيدي مَثّلا في عصرهما وَحْدة في الثقافة الاسلامية وأكّدا ان الرحلة في طلب العلم كانت من اهم وسائل التحصيل . وكان للقدس في ذلك مكانة خاصة ، لوجود ثالث الحرمين فيها ، ولوقوعها في وسط العالم الاسلامي ، فقصدها الحجاج وطلاب العلم من الشرق ومن الغرب ، في طريقهم الى مكة او عودتهم منها ، فآوتهم في رُبُطها وزواياها ومدارسها ، واكرمت مثواهم ، وسّهلت لهم سُبُل التعليم او التعلّم في المسجد الأقصى الذي بارك الله حوله .

**عبد اللطيف الطيباوي**